كيفية السلوك إلى الله

تأليف

شيخ المتألهين الشيخ الأوحد / أحمد بن زين الدين الاحسائي

(قدس سره)

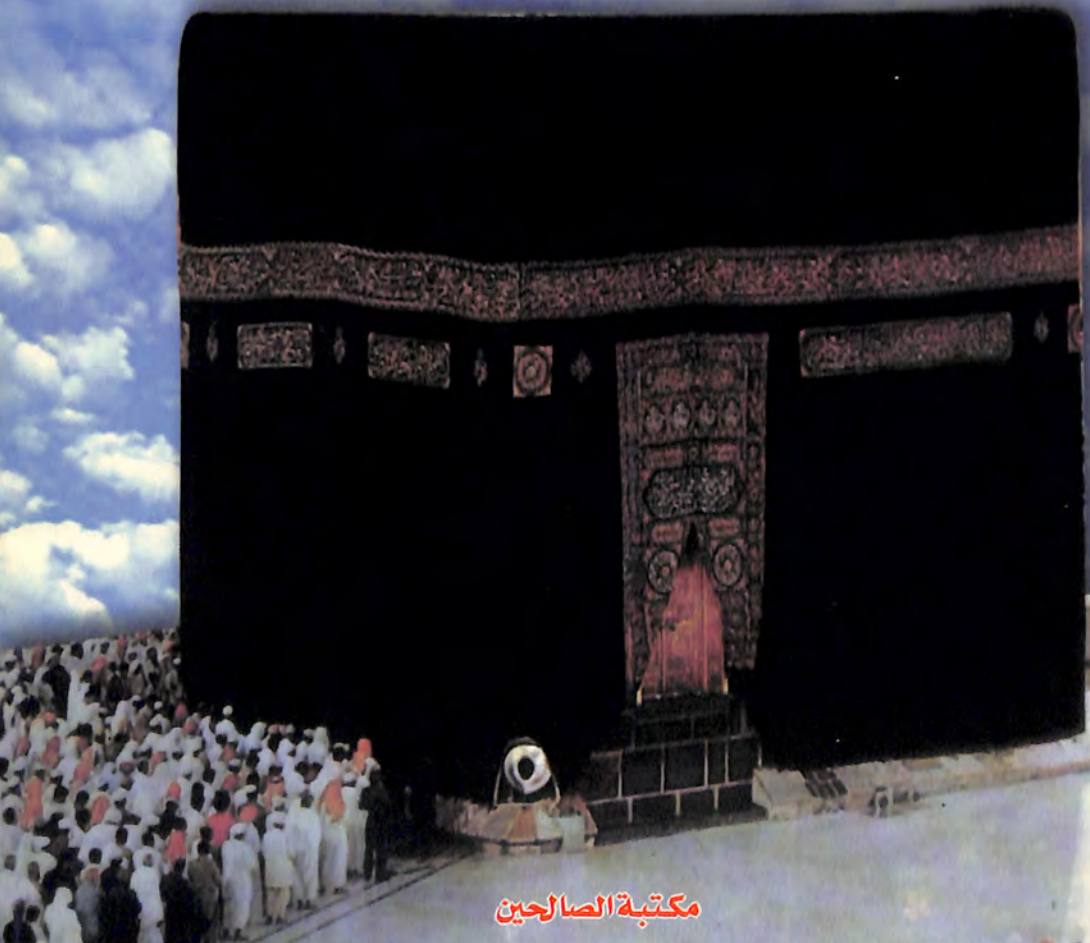

مكتبة الصالحين

كيفية السلوك إلى الله

تأليف

شيخ المتألهين الشيخ الأوحد /أحمد بن زين الدين الاحسائي

(قدس سره)

بأمر واشراف

الامام العلامة المجاهد المجتهد الميرزا عبد الرسول الاحقاقي

دام ظله العالي

موقع الأوحد

Awhad.com

الكويت - الصوابر - بقرب الحسينية الجعفرية - تلفون : ٢٤٦٧٦٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

(مقدمة)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمد وآله الطاهرين ، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين آمين يا رب العالمين .

وبعد ، فإن الله تعالى خلق البشر ليبلغ بهم إلى الكمال والترقى إلى المقامات العلية التي يكونون معها مستأهلين لكرم الله وفيضه ، ويلبسهم نوره وفضله ، أي بمعنى آخر أن يصلوا إلى مرتبة الإنسانية ، وجعل الله تعالى السفينة التي توصلهم إلى هذا الكمال وهذه الرتبة سفينة ذات شراعين ، شراع منها الإيمان أو العقيدة أو الحكمة العلميةو الشراع الآخر هو العمل الصالح أو العبادات أو الحكمة العملية ، ولا استغناء بإحداهما عن الآخر فقد جعلهما الله تعالى في كتابه الحكيم قرينين لا يفترقان فقال عز من قائل ﴿ والعصر ، إن الإنسان لفي خسر ، إلا الذين أمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصو بالصبر ﴾ .

وجعل الله تعالى لهذه السفينة والعارف بأمور أشرعتها التي تعتمد هذه الأشرعة في كل أمورها على أهل بيت العصمة والرسالة محمد وآله الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين ، ولذا أمر الله الخلق بالتوجه إليهم لأخذ العقائد الصحيحة والعمل الموصل لرضا الله والذي يبلغ بصاحبه إلى رتبة الإنسانية الحقيقية ، وجعل الذهاب إليهم اتصال بأنوار الله تبارك وتعالى التي لا انطفاء لها ، وانتهال من عيون صافية لا تجف أبداً ، وجعل الذهاب إلى غيرهم دخول في بحر الظلمات المنتهي بصاحبه إلى الهلاك والضياع .

فقد ورد في (بصائر الدرجات) عن مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله «من ذهب حيث ذهب الناس ، ذهب الناس إلى عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض ، وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمور لا نفاد لها ولا انقطاع» .

وعن مولانا أبي جعفر الامام محمد بن علي الباقر عليهما السلام أنه قال «ومن ذهب مذهب الناس إلى عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض ، ومن أتى آل محمد أتى عينا صافية تجري بعلم الله ليس لها نفاد ولا انقطاع» .

وقد جعل إمامنا الهادي (عليه السلام) من صفات المؤمن الموالي أنه آخذ بقول المعصومين وعامل بأمرهم ، ليس بآخذ عن غيرهم ولا عامل بأمر غيرهم فقد قال روحي فداه في الزيارة الجامعية الكبيرة «آخذ بقولكم ، عامل بأمركم» وقال في موضع آخر «مستبصر بشأنكم وبضلالة من خالفكم» .

وقد ربى أهل البيت عليهم السلام في هذا الطريق تلامذة عظام ، وجعلوهم مناراً في طريق الحق يدلون الناس على هذا الطريق ، ومنازل يوصلون وارديهم إلى مدن مباركة ، ومن أمهر وأفضل هؤلاء التلامذة بل أوحدهم علماً وعملا وتقوى وولاء هم فخر العلماء العاملين والحكماء المتألهين مولانا وشيخنا الأوحد الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي قدس الله نفسه الزكية ، فقد كان تلميذا رشيداً لآل بيت العصمة ، وأستاذاً عظيماً ومربياً كريماً لمن تتبع أقواله وأفعاله التي ما خالف فيها آل بيت العصمة عليهم السلام لا في صغيرة ولا في كبيرة بل كان متبعاً لهم ومقتصا لآثارهم كما قال مولانا الهادي عليه السلام «وجعلني ممن يقص آثاركم ويسلك سبيلكم ويهتدي بهداكم» فقد تبعهم واستنار بأنوارهم في عقائده وأعماله وعباراته ، حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة بحيث لم يسبقه سابق .

فعلى المنصف أن يراجع ما سطر هذا العالم العظيم من أسفار الأمور العقائدية ، وكيف قام بكشف النقاب عن كثير من الأمور المعضلة في التوحيد ومقامات المعصومين عليهم السلام ، وحل كثير من الأمور الخفية على غيره في روايات المعصومين عليهم السلام فقد استلان ما استوعره الناس وأنس بما استوحشوا منه ، ومن شاء أن يعرف صدق هذا الكلام فليراجع كتاب شرح الزيارة الجامعة الكبيرة له قدس الله نفسه وبعدها فليترك الحكم للعقل المنصف الخالي عن العوارض العصبية .

وأما في الأمور العبادية والسلوك إلى الله تعالى ، فأول درس ألقاه هو حياته الشريفة رضوان الله عليه فهو من أعظم الدروس في الحكمة العملية ، وله رضوان الله عليه دروس أخرى كثيرة منها هذا المختصر الذي يقدم بين يدي القارئ الكريم ، نسأل الله تعالى أن ينفعنا به وسائر المؤمنين في الدنيا والأخرة إنه سميع مجيب الدعاء .

كتبه أقل العاملين

الممتلئ بالعيب والشين/ حسين علي المطوع

تجاوز الله عن سيئاته

الرسالة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

أما بعد فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي :

أن الرجل الأفخر المكرم الملا علي أكبر بن البصير محمد سميع ، وفقه الله لطاعته قد أرسل إلي كلمات قليلة مشتملة على معان جليلة يريد من الفقير الجواب ، وهي أنه :

قال سلمه الله :

إن تفضلوا وتكتبوا طريق خلوص النية وحضور القلب والقصد في الطاعات بأي شيء تحصل؟ بذكر أو فعل أو رياضة؟ وترقي النفس في الكمالات القدسية بأي شيء تيسر؟

أقول :

إن النية إنما تخلص إذا ظهرت على مشاعر العبد آثار فضل الله سبحانه حتى جذبه الطمع فيما عند الله والرغبة في خيرات وعد الله الصادق وآثار عدله سبحانه حتى صرفه الخوف من مقام الله و الرهبة في محذورات وعيده المطابق .

فإذا حصل ذلك للإنسان انصرف عما سوى الله سبحانه وتعالى إليه فهناك تخلص نيته ويحضر قلبه عند الله وتكون أعماله مقبولة فينهمك في الطاعات وتترقى نفسه إلى الكمالات فيتخلق بأخلاق الروحانيين و تتعلق روحه بالمحل الأعلى من القدس .

إلا أن الإنسان لما كان منغمسا في رذائل الطبيعة ، محجوب الآنية تعسر عليه ذلك المطلب العالي ، واصل ذلك الانغماس أنه لما ظهر إلى الدنيا كانت نفسه مصاحبة لحياته في طفولته وكان همها هماً للطعام والشراب لضعف قواه عن الإدراكات الكاملة .

ثم تدرج في مراتب الجهل من (الشهوة) و(الغضب) و(التكبر) و (الحسد) وغير ذلك من الأخلاق الرذيلة ، واستولت هذه القوى النفسانية على ذلك العبد واستوطنت مساكنها منازلها .

وكان العقل الذي يدعو إلى اللّه سبحانه و تعالى و إلى طاعته إنما يأتي ذلك العبد شيئا فشيئا بالتدريج ، ولا يتم نزوله في أول مساكنه إلا عند (البلوغ). فيأتي ذلك المنزل وهو غريب وحيد لا ناصر له ولا معين وقد استولت أعداؤه وطغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فدخلها فكان بينهم غريبا ذليلاً حقيراً خامد الذكر معزول التصرف والأمر.

فتفضل الله عليه (ثانيا) بعد إيجاده وخلقه مهديا مستقيما بملك من جبروته يعينه على طاعته ويؤيده على أعدائه . ونصر ذلك الملك بجند من ملائكته يفعلون بأمره ويدفعون أعدائه وهم بأمر ذلك الملك يهدون بالحق وبه يعدلون .

ثم تفضل الله سبحانه بعد ذلك مرة بعد أخرى ، فأرسل فيه رسول اللّه صلى الله عليه وآله وعلمه طريق شريعته ثانيا كما علمه طريق شريعته (أولا)[1] وبين له مستقيم أعماله وأقواله وأفعاله وحركاته وسكناته وجميع أحواله من معوجها ، و نصب له الأدلة ولم يترك شيئا فيه صلاحه إلاّ دله عليه ولا شيئاً يضره إلاّ عرفه إياه . وأحصى في كل شيء من أفراد الطريقين بأمره ونهيه لئلا تكون للناس على الله بعد الرسل .

والإشارة إلى مجمل تلك الهدايات إنه أمره بالإقبال على الله والمسير إليه سبحانه ، ودلك على طريق ذلك من حجته ، و رضاه فأمرك بشريعة من (الطهارة) و (الصلاة) و (الزكاة) و(الصوم) وساير التكاليف وواجبها ومندوبها على ما هو مقرر عند أهل الشرع .

---

(١) أي في (عالم الذر) و هو قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ .سورة الأعراف آية (١٧٢)

للمؤلف تفصيل لهذا المجمل أقتبسناه من (جوامع الكلم المجلد الأول) لتوضيح المطلب قال رحمة الله عليه :

(أن العلم قد عرض على الخلق في (عالم الذر) فلا يقبل أحد شيئا من العلوم إلا ما قبله هناك .وأما المعلمون في الدنيا فأنهم منبهون للمتعلم على ما غفل عنه ومذكرون له نسيه ، ألا ترى أنك إذا أخبرك معلمتك بسائل لا تقبل منها إلا أدركته ، وأدراكك الآن على أدراكك في (عالم الذر) ...).

وهو معنى قول الأمام جعفر بن محمد الصادق (عليهما السلام) : (ثبتت المعرفة في قلوبهم ونسوا الموقف) البحار ج٣ ص٢٨٠ رواية ١٦ باب ١١ .وفي رواية : (وسيذكرونه يوما لولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ولا رازقه) الرواية نفس المصدر السابق. فقال (عليه السلام) : (وسيذكرونه يوما ما ولم يقل سيتعلمون فأفهم ..)

ونبه على ذلك في مواضع من كتابه منها قوله تعالى ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ (١)

يعني ان غير الخاشعين لا يقدرون على الاستعانة بالصلوة على جميع مطالبهم لأنهم معرضون عن ذكر الله فكانت قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون.

فإذا أردت خلوص بالنية وغيره إلى آخر ما طلبت فعليك بحسن العمل فأنه لا شيء كالعمل كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : فإذا أردت الصلوة فأسبق الوضوء تقرباً إلى اللّه ، وأقرء ما ندبك إليه الإمام من أدعيه الوضوء وقبله وبعده ، توجه إلى ذلك بقلبك. وقم إلى الصلوة بقصد الخدمة للّه سبحانه وصل كما أمرك الشارع (عليه السلام) من الأفعال والأقوال .

وتعود إقامة الصلوة و لا تترك شيئاً من (النافله) ولا شيئاً من المستحبة من صلوة أو دعاء أو قراءة القرآن تعللً بأن اللّه سبحانه لا يقبل إلاّ الخالص وما أقبل العبد إليه بقلبه فإذا لم تتوجه إلى العمل بقلبك تركته ، وهذا من حيل الشيطان على الإنسان ليحرمه جميع الخيرات . فلا تترك شيئاً مما أفترضه اللّه ولا ما ندب إليه لأنك إن لم تقدر على العمل الصالح تقدر على صورته .

وأوصيك أن تجعل همك ، في الأعمال الصالحة من (صلوة) واجبة ومندوبة ومن (دعاء) و(صيام) و (زكاة) من واجب ومندوبه ، وقراءة القرآن لاسيما الآيات التي فيها المواعظ. ولا تنسى ذكر الموت والآخرة وذكر قوله تعالى ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴾ (٢) فجعل ذكر الدار خالصة عباده الصالحين المصطفين الأخيار. ومع هذا كله فيحتاج إلى ساعة من ليلك ونهارك تخلو

---

(١) سورة البقرة آية (٤٥)

(٢) سورة ص آية (٤٥ / ٤٦)

بنفسك وتنظر في المخلوقات من الأرضيين والسموات والجمادات والنباتات وتعتبر بما ترى من الآيات الدالة على قدرة خالق البريات فإنه لابد لمن يريد رضى اللّه والدار الآخرة ويريد أن يعرفه اللّه نفسه ويعرفه أنبيائه وأوليائه عليهم السلام وأن يبصره في دينه الذي ارتضاه ويجعله إنساناً فإن أكثر الناس بهائم .

كما قال الإمام الباقر (عليه السلام) : (الناس كلهم بهائم إلاّ قليل من المؤمنين والمؤمن قليل) (١)

فلا بد لمن يطلب هذه المطالب العلية من النظر و التدبر في مخلوقات اللّه سبحانه كما قال اللّه سبحانه : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾؟ (٢)

وقال تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ ﴾(٣)

قال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (٤)

---

(١) البحار ج٢ ص٢٠٠ رواية ٦٨ باب ٢٦

(٢) سورة يونس آية (١٠١)

(٣) سورة يوسف آية (١٠٥)

(٤) سورة فصلت آية (٥٣)

وقال تعالى : ﴿ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾(١) وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ﴾ (٢) وغير ذلك من الآيات .

فإذا عملت بما وصفت لك من العبادات كما ذكره الفقهاء (رضوان الله عليهم) في كتبهم الفقهية وكتب الأدعية وقرأت القرآن بالتدبر في بعض أوقاتك وتفكرت في المصنوعات كما ذكرنا حصل لك نور يبعثك على العمل ، وكلما عملت قويت وكلما قويت عملت.كما قال الأمام الصادق (عليه السلام) : (بالحكمة يستخرج غور العقل وبالعقل يستخرج غور الحكمة) (٣)

فإذا واضبت على ذلك فتح الله مسامع قلبك فأدركت الحكمة وعرفت العبرة وخلصت نيتك وحضر قلبك وصح قصدك في الخيرات وترقت نفسك في الكمالات القدسية ، قال الله تعالى في (الحديث القدسي) : (من أخلص لله العبودية أربعين صباحاً تفجرت ينابيع الحكمة على لسانه) .

(الحديث) وقال تعالى في حديث قدسي أخر : (ما زال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها ، إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته وإن سكت ابتدأته) (الحديث) (٤)

---

(١) سورة الروم آية (٨)

(٢) سورة الأعراف آية (١٨٥)

(٣) الكافي ج١ ص٢٨ رواية ٣٤

(٤) الكافي ج٢ ص٣٥٢ رواية ٧

فبين سبحانه أن سبب محبته للعبد هو تقربه إليه (بالنوافل) ومن أحبه اللّه قذف في قلبه العلم ، ومن هذا قال رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) : (ليس العلم بكثرة التعلم وإنما العلم نور يقذفه اللّه في قلب من يحب فينفسخ فيشاهد الغيب وينشرح فيحتمل البلاء) (١)

فقيل : يا رسول الله وهل لذلك من علامة ؟

قال : (التجافي عن دار الغرور (٢) ، والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله) هي فظهر أن النفس لا تترقى إلى الكمالات القدسية والمراتب العلية إلاّ بالعلم الحق المطابق الخالص ، وذلك العلم لا ينال إلاّ بمحبة اللّه ومحبته لا تنال إلاّ بالتقرب إليه بالنوافل ، والمراد (بالنوافل) الآداب الشرعية من (صلاة) و (طهارة) و(صيام) و (ورع) و (اجتهاد) و(ذكر) و (فكر) .

والمراد بالفكر التفكر في المخلوقات واعتبار الآيات فقد ورد " تفكر ساعة خير من عبادة سنة "

---

(١) البحار ج٦٨ ص(٢٣٦)

(٢) التجافي : أي التباعد عن والترك

ولقد قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) : (ليس العلم في السماء فينزل إليكم ولا في الأرض فيصعد إليكم ولكن العلم مجبول في قلوبكم تخلقوا بأخلاق الروحانيين يظهر لكم) (١)

ومثل معناه ما روي عن عيسى بن مريم (عليه السلام) حيث قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (٢) ، أي من أحسن العمل آتاه الله العلم بدون تعلم لأن السبب في كل خير حسن العمل كما في قوله تعالى : ﴿ لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾ (٣) يعني إذا أحسن العمل آتاه الله الحكم والعلم كقوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (٤) .

---

(١) وقال عليه السلام : (خلق الإنسان ذا نفس ناطقة أن زكاها بالعلم و العمل فقد شابهت أوائل جواهر عللها ...)

(٢) سورة يوسف آية (٢٢)

(٣) سورة الكهف آية (٧)

(٤) سورة البقرة آية (٢٨٢)

وأما ما أشرت إليه مما هو مشتهر الآن بين الناس من الطريق إلى معرفة اللّه هو الرياضات والأذكار المستحدثة وذلك من سنة أهل (التصوف) أتاهم الشيطان عن إيمانهم وأمرهم بالأذكار وضرب الطار وترجيع الغناء ونغمات المزمار وقال لهم : إن النفس خلقت من حال الأفلاك فإذا روحت بالألحان الموسيقية غابت عن ذلك العالم وتذكرت عاليها الأعلى ومركزها الأصل فتطلبه فتعرف ما يراد منها من المعارف لأنها قد فارقت الجسم بأفعالها ، فإذا فارقته لحقت بالعقل . وهذه حيل الشيطان سول لهم وأملى لهم [1]

---

(١) ... "ومنهم من يستمع (الملاهي) ويستمع (الألحان المطربة) مدعيا أن النفس خلقت من حركة الأفلاك ونفوسها . فإذا سمعت هذه الأصوات أو الملاهي و تذكر أوطانها و أطوارها ، فأنصرفت عن هذا العالم فصافحت الملائكة و صعدت إلى الملكوت و أدركت حظها .

(جهلوا) ما حققوا في مثل هذا المقام أن الملاهي إنما (حرمت) لأن النفس لا تتجاوز عنها بل تنتقل في حركات الملاهي و نغمات الغناء لما بينهما وبين النفس من المناسبة لأن الغناء فضلات نفسانية عجزت

النفس عن أبرازها في ألفاظ دالة ، فأخرجتها ألحانا .

وكذلك الملاهي بجميع أصنافها فهي تحكي ألحان الأفلاك على ما قرر في علم الموسيقى .فلا تزال النفس مشتغلة بتلك الأصوات و النغمات تنتقل معها و تسير بها في كل مكان سحيق فهي في الحقيقة أشد من الغفلة ، و لهذا سماه الشارع (عليه السلام) (ملاهي) لأن النفس في غير تلك قد تلتفت إلي أوطانها فتشاهد وقد تغفل ، وأما في هذه الحال فهي محجوبة ...)

أقتبست (من رسالة للمؤلف طبعت ضمن جوامع الكلم المجلد الأول)

ولو كان ذلك الطريق حقا يوصل إلى اللّه تعالى وإلى ما يرضيه لما أهمله الشارع ، ولا يجوز أن يخل بشيء يحصل به رضاه وما يطلبه من المكلف ، على أن هذه الطريق لو حصلت لشخص بها معرفة كانت معرفة لا يحبها اللّه لأن اللّه حق وبيده الخير ولا ينال منه إلاّ برضاه فلا يدرك ما عنده بما لا يحب ، لأنه لو أحب هذا الطريق لأمر بها ودعا إليها ، وإلاّ كان مانعا من خيره سبحانه وتعالى عما يشركون فلا يعرفه أحد لسبيل عدوه الشيطان وإنما يعرف لسبيله وسبيل أوليائه (عليهم السلام) .

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : (نحن الأعراف الذين لا يعرف اللّه إلاّ بسبيل معرفتنا) (١) فقد حصر معرفة اللّه فيما بينوا وعلموا من العلم والعمل ، والعلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل .

وأما ما حصلوه أولئك المتصوفة الجهال فهو غير الحق وهم بربهم يعدلون ، أما ترى أن قدوتهم وكبيرهم مميت الدين ابن عربي وما سن لهم وموه عليهم حتى بلغت به معرفته إلى أن حكم بإيمان فرعون لعنهما اللّه ، من مشتبه قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ ﴾ (٢)

---

(١) البحار ج ٨ ص ٢٣٨ رواية ١٤ باب ٢٥ ، و كلامه (عليه السلام) هذا له ثلاثة معان ...

أحدها : أن قوله لا يعرف اللّه إلاّ بسبيل ما نعرفه و نعرفه ـ تشديد الراء ـ بمعنى ما نصفه به من الصفات التي تليق بعز جلاله لشيعتنا و لمن يقبل منا ، إذ كل ما لم نصفه به فهو باطل لا يجوز أطلاقه عليه .

ثانيها : أن من عرف اللّه و لم يعرفنا لم يعرف اللّه و إنما عرف غير اللّه لأنا أركان توحيده و هياكل معرفته وصفات تعرفه وتعريفه ، والشيء لا يعرف إلاّ بصفات تعرفه أو تعريفه فكانت تلك الصفات مثل معرفته وهيكل ظهوره بتعرفه وتعريفه ...إلخ "

(جوامع الكلم المجلد الأول)

(٢) سورة يونس آية ٩٠

ونسي محكم قوله تعالى : ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ (١) وهذه مثل فرعون ، وقال تعالى : ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ (٢) وهذا مثل (ابن عرب) وكذلك في محكم قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ (٣)

أقول : يعني أن مثل ابن عربي وفرعون الذي قال الله في حقه :

﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾ (٤)

---

(١) سورة النساء آية (١٨)

(٢) سورة النساء آية (١٨)

(٣) سورة غافر آية (٨٤ ، ٨٥)

(٤) سورة القصص آية (٣٩ ـ ٤٢)

كل هذه الآيات المحكمة جعلها ابن عربي مميت الدين لا حكم لها ووصفها من المشتبه وله الويل مما يصف ، وكذلك قال : "أنا اللّه بلا أنا ." وجعله سبحانه لخلقه وجعل خلق المخلوقات وهماً وسراباً لأنه لم يخلق إلاّ ذاته .

وقرر أن أهل الجحيم مآلهم إلى النعيم وقال : إن علم اللّه مستفاد من الخلق ، وقال إن اللّه أحب أن يعبد في عجل السامري لأنه يحب أن يعبد في كل صورة .

وهذا وأمثالها هي نتائج (الرياضات) و (الأذكار) و(نغمات الأوتار) . وحيث جعلها وسيلة وترك سنة النبي صلى اللّه عليه وآله - وطريقة أهل بيته (عليهم السلام) .

قال تعالى : ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ ﴾[1] ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[2] فهؤلاء في الحقيقة ضالون مضلون .

---

(١) سورة الجن آية (١٦)

(٢) سورة الأعراف آية (٩٦)

فالعاقل يطلب النجاة حيث يمكن وذلك في إتباع الهادين المهديين. وأما طريق غيرهم فلا نجاة لسالكه وما أحسن ما قال الشاعر وما أصدقه في هذا المقال :

إذا شئت أن تختـر لنفسك مـذهبا ... ينجـيك يوم الحـشـر من لهب النـار
فـدع عنك قـول الشـافـعي ومـالك ... وحنبل والمروي عـن كـعب أحـبـار
ووال أناسـا نقلـهم و حـديثـهم ... روى جدنا عن جبرائيل عـن البـاري (١)

وأعلم أن الشريعة التي أسسوها عليهم السلام نور توصل إلى نور ، فاطلب النور بالنور ، فلا تطلب النور بالظلمات فإنها لا توصل إلاّ إلى الظلمات ، و هذا الطريق الذي وصفت لك هو أقرب الطرق إلى اللّه وأصحها وأنجحها .

---

(١) قال الشاعر :

إذا شئت أن تختر لنفسك مذهبا ... يقيك من الخسران والخزي والعار
ودينا قويما مستقيما ومنهجا ... ينجيك يوم الحشر من لهب النار
فدع عنك قول الشافعي ومالك ... فلا ذلك مرضيا ولا ذا بمختار
ولا تأخذن قولا عزى لابن حنبل ... ونعمان والمروي عن كعب أحبار
ووالي أناسا نقلهم وحديثهم ... من المجتبى وحي على لسنهم جار
فما أخبروا عنه وما حدثوا به ... روى جدنا عن جبرائيل عن البارى

وإن أبيت إلاّ الرياضة فأصحها طريق أهل بيت العصمة عليهم السلام وهو أنك لا تأكل حتى تجوع وإذا جعت فكل ولا تملأ بل ترفع يدك وأنت تشتهي الطعام ولك ميل إليه ، وإياك والشبع فإنه من مؤديات جنود الشيطان ، وكذلك الشراب ، لا تشرب حتى تعطش فإذا عطشت فأشرب فلا تملأ ، فارفع رأسك وأنت تشتهي الشراب وتدبر قول اللّه عز وجل : ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ (١) ، وقد ذكرنا سابقاً أن العلم نور يقذفه اللّه في قلب من يحب وذكر في الآية الشريفة أنه لا يحب المسرفين في الأكل والشرب .

فإذا أردت استعمال الذكر فأذكر لدفع المكاره الدنيا والآخرة "اعتصمت باللّه" تقولها ثلاثا وأربعين مرة ، وإن قلتها بحساب الجمل (٢) ، فهو أنجح ، ولدفع ما يجري في الخواطر من ضرر التطير و التفأل والدعوى وعدم الرضا بالقضاء وما أشبه ذلك "اعتصمت بك يا رب من شر ما أجد في نفسي فاعصمني من ذلك " تقولها ولو مرة واحدة ، وتقول عند المضائق : "حسبي اللّه "مائة وست وأربعون مرة تنفرج. وتقول للنوائب والحوادث اثنين وأربعين مرة : "توكلت على اللّه " وإن قلتها بعدد الجمل الكبير فهو أنجح ، وهذه الأذكار وما أشبهها سريعة الإجابة بشرط الإقبال والتوجه التام عند كل لفظة تذكر مطلوبك من غير تصور له ولا لنفسك وإنما تتوجه إلى معطي الخيرات جل وعلا (٣)

والحمد للّه رب العالمين ولا حول ولا قوة إلاّ باللّه العلي العظيم وصلى اللّه على محمد وآله الطاهرين

وكتب أحمد بن زين الدين حامدا مستغفراً مصلياً

---

(١) سورة الأعراف آية (٣١)

(٢) حساب الجمل : هو عدد الأشياء بالحروف الأبجدية المجموعة في الجمل السابقة (أبجد هوز - حطي الخ) المشتملة على ثمانية وعشرون حرفا .

(٣) جوامع الكلم الجزء الثاني (٢٧٤ - ٢٧٦)

الرسالة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

في جواب المسائل التالية :

قال السائل :

فإليك أشكو ضعف نفسي عن المسارعة فيما وعد اللّه أوليائه و المجانبة عما حذر اللّه أعدائه ، ووسوسة نفسي ، وقلة صبري ، وكثرة همومي وإليك أشكو قلباً قاسياً مع الوسواس متقلباً ، وبالرين والطبع متلبساً .

وتعلموني ذكرا ووردا لتصفية الباطن وتنوير القلب بنور المحبة والزهد في الدنيا ، والرغبة فيما عند اللّه ... وترشدونني إلى طريق تصلح لي ديني وما فسد مني وتصلح معاشي ومعادي .

والمدعو من فضلكم أن تبينوا معنى الأمرين من الجبر والتفويض وما معنى ما شاء اللّه كان وما لم يشأ لم يكن؟ وما معنى لا حول ولا قوة إلاّ باللّه؟

الحمد لله رب العالمين وصلى اللّه على محمد وآله الطاهرين ، وبعد.

فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الاحسائي ، إنه قد بعث إليّ السيد الجليل سيدنا إسماعيل بخط التمس مني الجواب لمسائل كتبها وقد وردت عليّ في حال اشتغالي بشرح الزيارة الجامعة. وكنت التزمت أني لا أشتغل بشيء. فلما وفقني اللّه عز وجل لإتمامه وذكرت كلامه أعلى اللّه مقامه كتبت ما حضر وجعلت كلامه متنا ليبين معنى كل مسألة في محلها وباللّه سبحانه أستعين .

قال سلمه الله :

فإليك أشكو ضعف نفسي عن المسارعة فيما وعد اللّه أولياءه والمجانبة عما حذر اللّه أعداءه .

أقول :

إن النفس خلقت على ما هي عليه من قابليتها ، ومقتضى قابليتها الضعف عن ذلك وإنما أفاض عليها الوجود لتقوى على طاعته وكانت الإفاضة في مقامين :

الأول : تكونت في صورتها الظاهرة .

والثاني : به تكون في نوريتها وقوتها على القرب من خالقها .

فأما الأول فمعلوم. وأما الثاني ، مادة الوجود التشريعي وهو الإرادات الإلهية من المكلف والأوامر الشرعية .

وكما أن الوجود التكويني الأول لا يتحقق إلاّ بقابلية المكلف وهو امتثال الأوامر واجتناب النواهي كما قرر الشارع (عليه السلام) : (بالعقل يستخرج غور الحكمة ، وبالحكمة يستخرج غور العقل) (١)

---

(١) الكافي ج٢ ص٢٨ رواية ٣٤

والمراد أنك تحمل النفس على بعض الأعمال الصالحة ، فإذا عملت قوى العقل ، فإذا قوي العقل بعثها على العمل وهكذا ، فأنت تعود نفسك على فعل الخير ، فإن فعلت فحسن وإن خالفت فلا تهتم بما مضى واجتهد بما يأتي فربما لو اهتممت بما مضى كان شاغلاً لك عما يأتي ولا يرجع لك ما مضى . وتستدرك ما مضى (بالندم) و (الاستغفار) ولا يكون الندم شاغلاً لك عما يأتي .

وأكثر من ذكر (الموت) وأحوال (الآخرة) من (الجنة) و(النار) .

واعتبر بمن كانوا معك وسافروا قبلك إلى الآخرة ، واقتدي بمن استعد لذلك السفر الطويل بالزاد الجزيل منهم ، وحذر نفسك أن تكون كمن سافر بغير زاد .

واجعل لك وقتاً في اليوم والليلة ولو قدر ساعة أو أقل تنظر فيه إلى ما خلقه اللّه من السموات والأرض ، وتعتبر بآيات اللّه. قال تعالى : ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا ﴾(١)

وأجتهد في إخلاص العمل وإن كان قليلا لان اللّه تعالى يقول ﴿ لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (٢) ولم يقل أكثر عملا فأفهم .

قال سلمه الله :

(ووسوسة نفسي وقلة صبري وكثرة همومي)

أقول :

اعلم إن الشيطان يأتي المؤمن إذا وقع منه تقصير ويفتح عليه باب الخوف ليشغله عن التلافي والإتيان بما سيأتي و ليدخله في باب القنوط ، ومن المؤمنين من يجري على خاطره تصور حال قبيح في اللّه تعالى أو في أنبيائه وأوليائه ، والتصور في الحقيقة ليس منك وإنما هو من إلقاء الشيطان ، وهذا هو النجوى الذي ذكره في كتابه فقال : ﴿ إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا إلاّ بإذن الله﴾ (٣) وهذا كما قال تعالى : ﴿ وليس بضارهم شيئا إلاّ بإذن اللّه﴾ لأن كيد الشيطان ضعيف .

فإذا عرض لك فلا تخف منه ولا تهتم به فإنه يذهب عنك كما قال اللّه : ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ﴾ (٤) والشيطان مثل الكلب تمر عليه فينبح عليك فإن تتركه رجع فإن اعتنيت بطرده أشغلك ، فكلما طردته ذهب وإذا رجعت رجع وأما إذا تركته تركك فأعتبر بهذا المثال على أن

---

(١) سورة آل عمران آية (١٩١)

(٢) سورة الكهف آية (٣)

(٣) سورة المجادلة آية (١٠)

(٤) سورة الأعراف آية (١٧٦)

هذا الذي جرى في تصورك ليس منك بل هو من الشيطان ولهذا يجري على خاطرك بغير محبتك ورضاك ، ولو كان منك لرضيت به ، فإذا عرفت أنه ليس منك فلا يضرك ولا تخف منه

واعلم إن الخبيث يأتيك به هو ويقول لك قد كفرت أو نافقت أو ارتددت فلا تطعه ولو كان منك لما كرهته وإذا لم يكن منك كيف تكون كافراً بفعل غيرك أو مرتدا .

ومع هذا فأنت تكثر من قول " : يا مقلب القلوب والأبصار صل على محمد وآل محمد وثبت قلبي على دينك ودين نبيك صلى اللّه عليه وآله - ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة انك أنت الوهاب "ليلاً ونهاراً .

فإذا خطر على خاطرك ما تكره فقل " : أشهد أن لا اله إلاّ اللّه وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأشهد أن عليا ولى اللّه ."

وأما قلة الصبر فانظر في نفسك هل تدرك مطلوبك بالصبر أم بقلة الصبر ، فإن قلت بقلة الصبر فلم تكرهه؟ وإن قلت بالصبر فاصبر حتى تدرك مطلوبك .

وأما كثرة الهموم فأنت جربتها هل حصلت بها شيئا مما أهمك أم لا ؟ فإن قلت حصلت بها فينبغي أن تفعلها وتلازم عليها ، وإن قلت : ما حصلت منها إلاّ الأذى فاتركها ولا تطلب لنفسك الأذى بما لا ينفعك .

ومن الأدعية المجربة إذا أصابك غم فقل ثلاثين مرة "لا إله إلاّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين "فقد جربته مراراً وعليه أعتمد وهو مروي عن النبي صلى اللّه عليه وآله .

قال سلمه الله :

(وإليك أشكو قلباً قاسياً مع الوسواس متقلباً)

أقول :

ليس قلبك قاسياً ولا متقلباً مع الوسواس لأن القلب القاسي هو الذي لا يشعر بهذه الأمور بل يطمئن إليها ، ولو تقلب مع الوسواس لرأى ذلك حقا وفرح به ، فلما تألم قلبك من ذلك دل على أنه ليس منك ولا منه وإنما هو من نجوى الشيطان ، وإذا كان من غيرك لا يضرك بل جزع قلبك من هذا ومثله كما قال صلى اللّه عليه وآله : (ذلك محض الإيمان) [1] ومعناه إنما خاف قلبك من هذه الأمور لأنه مطمئن بالإيمان فإذا ذكره الشيطان ذلك ليحزنه تألم من ذلك لأنه منكر لها وهو معنى كونه "ما حضا للإيمان ."

---

(١) الكافي ج٢ ص٤٢٥ رواية ٣

قال سلمه الله :

(وبالرين والطبع متلبسا)

أقول :

علاجه أن تجلوه وتصقله مما ذكرنا من (الاستغفار) والإكثار من (ذكر اللّه) و من ذكر (الموت) و (الجنة) و(النار) وبإخلاص العمل ، وبملاحظة الرجاء في اللّه تعالى وحسن الظن به .

ثم قال :

وتعلموني ذكرا ووردا لتصفية الباطل وتنوير القلب بنور المحبة والزهد في الدنيا والرغبة فيما عند اللّه .

أقول :

الذكر قسمان:

أحدهما : هو ما ذكرنا لك من التفكر في خلق اللّه وصنعه وآثار قدرته وذكر نعمه وجميل إحسانه وحسن الظن به والرجاء فيه والخوف من مقامه ، وأن تذكره عند الطاعة فتفعلها وعند المعصية فتتركها وأمثال هذا ...

وثانيهما : ما تتلفظ به من الذكر وأفضله الصلاة على محمد وآله فإنها تكفر الذنوب من دون توبة ، ولعن أعدائهم فإنها موجبة للشفاعة في الدنيا بإصلاح الأحوال وقضاء الحوائج ودفع الموانع ، وفي الآخرة بالسلامة من النار والفوز بالجنة .

والذكر الخاص لكل مطلوب "توكلت على اللّه "ألف وثلاثة وعشرون ، ولكل مخوف "اعتصمت باللّه "ألف وتسعة وستون .

وأما تصفية الباطن ففرغ قلبك لذكر اللّه سبحانه ولذكر أسمائه [1] عليهم السلام ، فإن اجتمع قلبك على هذا صفى باطنك واستنار قلبك بنور المحبة وذلك مع المداومة على المستحبات الشرعية والتوجه في الواجبات .

وأما الزهد في الدنيا فكما قال الصادق (عليه السلام) : "ألا تكون بما عندك أوثق بما عند اللّه ."

وأما الرغبة فيما عند اللّه فبذكر انقطاع (الدنيا) ولذاتها ، وفنائها وذكر دوام الجنة ولذاتها وبقائها ، وإكثار التفكر في تقلب الدنيا وغدرها بمن ركن إليها وأشباه ذلك .

وذكر (الموت) وما بعد الموت و(الحساب) والوقوف بين يدي اللّه ، وزيارة القبور والاعتبار بها وبالدنيا وبما فعلت بأهلها وهذا وأمثاله مذكور في أحاديث أهل البيت عليهم السلام وفي كتب العلماء الموضوعة في علم اليقين والتقوى .

قال سلمه اللّه :

ونمدو وترشدوني إلى طريق تصلح لي ديني وما فسد مني وتصلح معاشي ومعادي .

أقول :

عماد هذا وقوامه المصلح للمعاش والمعاد هو (التوكل) على اللّه و (تفويض) الأمر إلى اللّه

و(الرجاء) في اللّه و (حسن الظن) باللّه .

---

(١) قال رسول الله (صلى اللّه عليه وآله) ما معناه : ذكر اللّه عبادة و ذكرى عبادة ذكر أمير المؤمنين علي وأولاده المعصومين عبادة وقال الأمام موسى بن جعفر (عليه السلام) : (نحن الأسماء الحسنى التي أمركم أن تدعوه بها) البحار ج ٣٦ ص ٢٧٠ رواية باب ٤١

قال سلمه الله :

وما معنى ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن؟

أقول :

أعلم أن اللّه سبحانه كان ولا شيء معه غيره ، ثم خلق المشية بنفسها لا من شيء غير نفسها حين خلقها ، فأحدث بها (الإمكان) حين أحدثها لأنه محل خلقها في (السرمد) يعني أن المشية خلقها بنفسها في مكانها ووقتها ، فمكانها (الإمكان) ووقتها (السرمد) فهذه الثلاثة هي(الوجود الراجح) وهو :

(الوجود المطلق) ، والمشاءات في الإمكان المساوي وهو (الوجود المقيد) وأوله (العقل الكلي) وآخره ما تحت الثرى .

فلما أمكن الممكنات كانت حصصها الجزئية بالنسبة إلى (الإمكان الكلي) حصصها كلية غير متناهية ، مثلا أحدث في (الإمكان الراجح) الذي هو العمق الأكبر المشار إليه في دعاء (السمات) للحجة (عليه السلام) إمكان زيد على وجه كلي غير منتاه .

وإنما قلنا أنه جزئي بالنسبة إلى (العمق الأكبر) ، ومعنى كون إمكان زيد على وجه كلي أن حصة من (الإمكان الراجح) قبل التكوين يجوز أن تكون زيداً وعمراً أو جبلاً أو جملاً أو طيراً أو أرضاً أو سماء نبيا أو كافرا أو ملكا أو شيطانا أو معدنا أو نباتا وهكذا إلى غير نهاية .

فزيد في العلم الحادث (الإمكان الراجح الوجود) يجوز أن تقول أنه هو ليس شيئا يعني مكونا قال تعالى : ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾﴾[1] يعني لم يكن شيئا مكونا ولكنه شيء معلوم ممكن .

---

(١) سورة مريم آية (٦٧)

ويجوز أن تقول : هو شيء يعني هو ممكن وليس مكونا ، قال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ ﴾[1] يعني أنه ما مر عليه وقت من الدهر إلاّ وهو مذكور ولكن مذكور في (العلم) و(الإمكان) لا أنه مذكور في(التكوين) .

فلله - سبحانه - في كل شيء مشيتان : (مشية إمكان) ، و (مشية تكوين) .

فالإمكان : هو الخزانة الكبرى التي لا تتناها واللّه الكريم سبحانه يمد منه كل مكون بما شاء ولا نهاية لهذا الإمكان إلاّ في الملك الذي تفرد به تعالى .

فإذا قلت : (ما شاء اللّه كان) تريد ما شاء اللّه تكوينه من الممكنات التي شاء إمكانها كان بمشيته التكوينية من مشيته الإمكانية وما لم يشأ تكوينه من الممكنات التي شاء إمكانها بالمشية الإمكانية لم يكن لأن الممكن لا يكون مكونا إلاّ (بالمشية التكوينية) .

مثلا الجبل له حصة إمكانية من (الإمكان الراجح) فكون هذا الجبل من تلك الحصة الإمكانية التي قلنا أنها حصة إمكانية جزئية على وجه كلي غير متناه ، فإن هذا الجبل يمكن أن يكون ذهباً و إنسانًا وملكاً وحيواناً وشيطانا ًوبراً وبحراً وغير ذلك مما لا نهاية له ولا غاية أبد الآبدين .

فحاصل المعنى : ما شاء اللّه تكوينه من الممكنات كان وما لم يشأ تكوينه منها لم يكن و إذا كونه ليس فيه البداء إلاّ يكون لأنه كونه ، وكونه لا يكونه محال ، ولكن له أن يغير تكوينه إلى أي صورة شاء بلا غاية ولا نهاية كما قال تعالى : ﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾[2] وأما قول (الصوفية) وأتباعهم (أنه ليس للحق في الشيء إلاّ وجه واحد لأن علمه كذلك وعلمه تعالى لا يتغير)

---

(١) سورة الإنسان آية (١)

(٢) سورة الانفطار آية (٨)

وساوس وجهل بمقام الحق تعالى ، حتى أنهم يقولون "لا تتعلق قدرته تعالى بهداية الخلق كلهم لأنهم ما أعطوه العلم من أنفسهم بذلك "و هو غلط فاحش ، فإن اللّه تعالى العالم بذاته وبخلقه يقول : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾[1] فكيف يقول تعالى : لشيء (كن) ولا يكون؟ أو أنه أتى بهذا الفرض على جهة الفرض والتمثيل كما أحتمله بعضهم وكتبه هو زعما منه أن هذا مما لا يحتمله إلاّ أهله ، حتى أن الملا محسن في(الوافي) في باب الشقاوة والسعادة عنون بيان هذا فقال (وإن كان الظاهريون لبمعزل عنه) .

(١) سورة الأنعام آية (٣٥)

قال سلمه الله :

وما معنى لا حول ولا قوة إلاّ باللّه؟

أقـول :

روي معناه عن أمير المؤمنين (عليه السلام) : (لا حول لنا عن المعاصي ولا قوة لنا على الطاعة إلاّ باللّه) (١)

ومعنى هذا الكلام أن الحول أي التحول عن المعاصي إنما يكون لنا باللّه لأن لنا حقيقتان :

حقيقة من اللّه وهو (الوجود) (٢) وهو يقتضي الطاعات بميل طبعه ، ويقتضي التحول عن المعاصي كذلك لكنه محدث محتاج في بقائه إلى (المدد) ، وكذا في حصول الميل له وبقائه له .

وهو أي (المدد) إنما يجري على (المحدث) من (فعله) تعالى بإرادته ، فإذا لم يرد لم يصل إليه مدد ، وإذا لم يصل إليه (مدد) لم يكن له اقتضاء ولا ميل ، هذا إذا وصل إلى الذات نفسها ، ولم يصل إلى نفس الاقتضاء والميل مدد وإلاّ لم يكن شيئا أصلا .

و حقيقة من نفسه وهي (الماهية) وهي تقتضي المعاصي بميل طبعها ، وتقتضي ترك الطاعات كذلك وهي محدثة من (الوجود) المحدث ، ومحتاجة في بقائها وفي اقتضائها وميلها كذلك .

و ميل (الوجود) من نوعه ، و مددها من نوعها و كل بإرادة اللّه تعالى .

---

(١) البحار : ج٥ ص٢٤ رواية٣٠

(٢) للمؤلف بحوث في (الوجود) و (الماهيه) بشكل تفصيلي في كتابه (شرح الفوائد) فراجع .

فإذا أراد العبد (الطاعة) بإقتضاء حقيقته وميلها وهي (الوجود) لا يقوى عليها إلاّ بمعونة من اللّه ، وهذا معنى ولا قوة لنا على الطاعات إلاّ بمعونة من اللّه تعالى .

وإن مال إليها وجودنا وأحبها قلبنا ، وإذا أراد ترك المعصية بعد ميل مٰاهيتنا ومحبة نفسنا الامارة بالسوء لها لم نقدر على تركها والتحول عنها إلاّ بمعونة من اللّه تعالى .

وهذا معنى "لا حول لنا عن المعاصي إلاّ باللّه "لأنه لو أمد (الماهية) حين مالت إلى المعصية عصى العبد قطعا ومدده تعالى لها التخلية والخذلان فلا يطيع العبد إلاّ باللّه ، فإذا مال إلى الطاعة وائتمر بها أمده بالمعونة ولا يمنعه ما يحب منه أن يفعل ، ولا يعصي العبد إلاّ باللّه لأنه إذا مال إلى المعصية وائتمر بها فإن شاء أن يحول بينه وبينها فعل بأن يمد مقتضى الترك لها وهو الوجود ، وإن لم يشأ ذلك خلاه ، وكان تخليته مددا لمقتضى فعلها وهو الماهية .

ولا يجب في الحكمة عليه تعالى أكثر من هداية (النجدين) و المعونة إذا شاء [1]

وله الحمد على كل حال والحمد للّه رب العالمين .

---

(١) جوامع الكلم المجلد الثاني طبعة تبريز (١٢٧٦) صفحة (٢٨٢ - ٢٨٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان معنى قول الإمام عليه السلام "بنا عرف الله ، لولا الله ما عرفنا "

الحمد رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين أما بعد

فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره ...قد أرسل إلي جناب الشيخ مهدي مسائل أراد كشف النقاب عن وجوهها وكنت في شغل عنها و عن غيرها لموانع من الأمراض و الأعراض رضاني عن التوجه إلي شيء ولكن لما التزمت على نفسي ما يتسهل من الجواب إذ لايسقط الميسور بالعسور وإلى الله ترجع الأمور ...

قال سلمه الله :

ورد في الخبر (بنا عرف الله ولولا الله ما عرفنا) [1] ما المراد من هذا الكلام

أقول :

لم أقف على هذا الخبر و الذي وقفت عليه (بنا عرف الله و لولانا ما عرف الله) و ذلك في روايتين غير ولكن على ما تروي لا منافاة فيه ونتكلم على ما تروي *

فقوله (عليه السلام) : "بنا عرف الله" له معان :

أحدها : بما وصفنا الله تعالى بصفاته وذكرنا مما يجوز عليه ويمتنع عليه ، وكل وصف وصف به غيرنا فإنه لا يجوز عليه تعالى ولا يجوز عليه إلاّ ما وصفناه به ، لأنا لا نقول عليه إلاّ ما وصف به نفسه .

---

(١) الكافي ج١ ص١٤٥ رواية١٠

ثانيا : إنا شرط التوحيد ، فمن لم يعرفنا لم يعرف اللّه لأن اللّه تعالى جعلنا أركان توحيده ، والمراد بالشرط هنا الشرط الركني وذلك لأنهم معانيه فهم عينه ولسانه ويده وأمره وحكمه وعلمه ، ومعنى كونهم معانيه أنهم معاني أفعاله ، كالقيام و القعود و الحركة و السكون فأنها أركان قائم و قاعد والمتحرك

والساكن التي هي أسماء زيد وصفاته فقائم صفة زيد وبه يعرف وركن هذه الصفة القيام وهو مثل حقيقتهم فزيد بالقيام لأنه ركن القائم الذي هو صفته وهذا على إعتبار كونهم المعاني .

وثالثها : إنا شرط التوحيد يعني أن التوحيد لا يتحقق إلاّ بالإقرار بولايتهم الحق ، وفيه تعريض بغيرهم .

والمراد أن من عرف إلها اتخذ لخلقه دعاة مهتدين هادين فقد عرف ربه بالغنى المطلق الذي هو عبارة عن التوحيد الكامل بخلاف من عرف إلها اتخذ لخلقه دعاة ضالين مضلين فإنه ما عرف ربه لأن الإله الذي اتخذ دعاة ضالين مضلين إنما دعاه إلى ذلك الحاجة أو عدم القدرة على تحصيل هادين مهتدين أو عدم علمه بهم ، والمحتاج وفاقد القدرة ليس بآله حق فبهم يعرف الله .

ورابعها : أنّا آيات الله التي تدل عليه ، والمراد أنهم هم الآيات التي قال تعالى﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾[1] فهي التي يعرفون اللّه بها ، وهو قول الصادق (عليه السلام) في حديث عبدالله أبن البكر الارجاني عن كامل الزيارة وهو طويل وفيه قال (عليه السلام) : والحجة بعد النبي- صلى اللّه عليه وآله يقوم مقام النبي صلى اللّه عليه وآله وهو الدليل على ما تشاجرت فيه الأمة

---

(١) سورة فصلت آية (٥٣)

والأخذ لحقوق الناس والقائم بأمر الله والمنصف لبعضهم من بعض ، فإن لم يكن معهم من ينفذ قوله وهو يقول (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم الآية ، فأي آية في الآفاق غيرنا أراها الله أهل الآفاق؟ وقال تعالى ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ (١) (فأي آية أكبر منا)؟ الحديث .

والآية هي الدليل عليه ولهذا قالوا عليهم السلام : (نحن صفات الله العليا) ولا شك أن الشيء إنما يعرف بصفته وهي كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : (صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له) .

وخامسها : لما ظهرت عليهم آثار الربوبية حتى أنهم يحيون الموتى ويبرؤن الأكمه والأبرص ويفعلون كل ما أرادوا بإذن الله سبحانه لأنه تعالى أخذ على جميع ما خلق الطاعة لهم ، ومع هذا ظهروا بكمال العبودية وبشدة العبادة وكمال الخوف من مقام الله تعالى فعرف الخلائق ربهم بذلك ، كما ورد في حق الملائكة أنهم لما رأوا أنوارهم تحيروا فسبحوا فسبحت الملائكة ، فهللوا فهللت الملائكة ، وكبروا فكبرت الملائكة .

وذلك لأن الملائكة لما رأوا أنوارهم ظنوا أن هذا نور معبودهم ، فلما سبحوا عرفت الملائكة أن هذا نور مخلوق فقالوا عليهم السلام : (بنا عرف الله) .

وفيه أيضا وجوه وهذا أظهرها ....(٢)

---

(١) سورة الزخرف آية (٤٨)

(٢) جوامع الكلم المجلد الثاني صفحة (٣٠٣)

أما قولهم (لولا الله ما عرفنا) ..

بالمعلوم يعني نحن لا نعرف إلاّ ما عرفنا وهذا متحقق ظاهر و بالمجهول يعني لولا الله "لم يعرفهم شيء من الخلق لأنه تعالى هو الذي نوه بأسمائهم وعرف جميع الخلق جلا له وقدرهم وعلو شأنهم ومكانهم كما قال الأمام الهادي (عليه السلام) في الزيارة الجامعة (حتى لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا صديق ولا شهيد ولا عالم ولا جاهل ولا دني ولا فاضل ولا مؤمن صالح ولا فاجر طالح ولا جبار عنيد ولا خلق بين ذلك شهيد إلاّ عرفهم جلالة أمركم و عظم خطركم وكبر شأنكم و تمام نوركم و صدق مقاعدكم و ثبات مقامكم وشرف محلكم ومنزلتكم عنده وخاصتكم لديه و قرب منزلتكم منه) ولا أشكال هنا إذ كل فضل منهم وبهم قال تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله)

* * *

في بيان استجابة الدعاء :

أقول : إن الله سبحانه قال : ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[1] وهذا مجمل وبينه في قوله ﴿ إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[2]

ومن معنى بيانه أنه قال : (فليستجيبوا لي) يعني أني دعوتهم إلى أن يدعوني ويؤمنوا بي أي يصدقون بأني أقرب إليهم من حبل الوريد وإني أجيب الداع ، فإذا دعا وهو شاك في أنه يجيب الدعاء لا يستجيب له ، وإن دعا وهو لا يعرف من دعاه لا يستجيب له كما قال الأمام جعفر بن محمد الصادق (عليهما السلام) لما قيل له ما بالنا ندعو ولا يستجاب لنا؟ فقال (عليه السلام) : (لأنكم تدعون من لا تعرفونه) .

فإذا أردت استجابة الدعاء فادعه وحده لأنك إذا لم تعرفه فإنما تدعوا غيره وطريق معرفة موجب للاستجابة أن تعزم عليه تعالى بما دعاك فتوجه إليه غير ناظر إلى حاجتك ولا إلى نفسك على نحو ما إذا قلت لزيد يا قاعد فإنك غير لاحظ للقعود وإنما أنت متوجه إلى زيد فكذلك إذا قلت (اللهم اغفر لي) فلا تلتفت إلى كونك ولا إلى كونك سائلا ولا إلى المغفرة ، وتتوجه إليه تعالى لا إلى جهة بلا كيف فإنك إذا فعلت كذلك استجاب لك في مكانك ، ولقد جربت ذلك خمس أو ست مرات فلا ينقطع كلامي إلاّ بالإجابة وطريق آخر : أن تتقي الله بأن تطيعه في كل ما يريد منك فإذا كنت كذلك فهو أكرم منك وأولى بالفضل ، فإذا دعوته استجاب لك فى كل ما تريد وهو تعالى نبهك على ذلك بقوله : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[3]

---

(١) سورة غافر آية (٦٠)

(٢) سورة البقرة آية (١٨٦)

(٣) سورة المائدة آية (٢٧)

الغيبة

سؤال : هل بمجرد سماع الغيبة يحكم بفسق المغتاب أم لا ؟ وهل يجب الرد على السماع أم لا ؟ وهل السماع بقصد الرد من أحد وجوه الجواز أم لا ؟

أقول :

من سمع الغيبة ولم يعلم أن من اغتيب متظاهر بالفسق ولم يكن ذلك في جرح شاهد ولا نصح مستشير ولا من باب ذكر فضل بعض العلماء على بعض وأمثال ذلك ، بل إنما كان ذلك مجرد إظهار عيب مؤمن ، فإن ظهر له من المغتاب إمارات الندم والتوبة وإلاّ جاز الحكم بفسقه إن عين مؤمنا باسمه أو بإشارة مفهمة تعينيه للسامعين أو بعضهم .

ثم إن كان ذكر الغيبة بكلام لو بين وجه العذر فيه للمؤمن قبل ذلك المغتاب عذره ولم يغتبه جاز استماعه حتى يستوفي كلامه ثم يرده ، بل وإن لم يقبل المغتاب ولكن من السامعين من يقبل وإلاّ ترد كلامه قبل إتمامه إن تمكنت من ذلك وإلاّ فقم عن المجلس إن تمكنت وإلاّ فسد أذنيك ، ولو تعذر عليك وجه التخلص فاللّه أرحم الراحمين وخير الغافرين [1]

---

(١) جوامع الكلم المجلد الثاني صفحة ٩٨

﴿ الفهرس ﴾

.المقدمة ٥

.(الرسالة الأولى) في كيفية إخلاص النية وحضور القلب. ٩

.في أن التقرب إلى الله يحصل بالعمل بالواجبات والمستحبات وترك المحرمات ١٤

.في أن أستعمال (الأذكار) وضرب (الطار) التى يستعمل (الصوفية) هي من عمل الشيطان ١٩

.في الرد على (ابن عربي) لقوله بايمان فرعون ،ولقوله بوحدة الوجود ..وإن اهل النار مآلهم إلى النعيم ٢٠

وقوله أن الله احب يعبدفي عجل السامري. ٢٢

.في الرياضات التي تقرب إلى الله هو ماجاء عن طريق اهل البيت عليهم السلام. ٢٤

.الرسالة الثانية تحتوي على عدة مسائل ٢٥

.في الحث على إخلاص العمل والتفكير في مخلوقات الله والاعتبار بمن فارق الحياة قبلنا. ٢٨

.علاج وسوسة النفس ٣٠

.ذكر بعض الأذكار والحث على الدوامة على المستحبات الشرعية وغيرها. ٣٣

.معنى (ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن) ٣٥

.معنى (لا حول ولا قوه إلا بالله). ٣٨

.في البيان معنى قوله (عليه السلام) (بنا عرف الله ...). ٤١

.في البيان معنى قوله (عليه السلام) (لولا الله ما عرفنا). ٤٤

.في استجابة الدعاء ٤٥

.في (الغيبة) ٤٦

صفحة	سطر	الخطأ	التصحيح
١٤	٢٠	دكر	ذكر
١٤	٢١	...	المصطفين الأخيار
٢٤	الحاشية رقم (٢)	المستملة	المشتملة
٤١	١٥	في روايتين على	في روايتين
٤٣	٣	هل	أهل

مطابع دار البلاغ
4818820 - 4818606 - Fax: 4819008

من أهم مؤلفاته :-

- ❖ كتاب شرح الزيارة.
- ❖ كتاب جوامع الكلم.
- ❖ كتاب شرح العرشيه.
- ❖ كتاب الفوائد.
- ❖ كتاب الكشكول.
- ❖ كتاب شرح المشاعر.